

الوحدة الوطنية السياسية والعسكرية لدولة الأمير عبد القادر الجزائري.

د. صادق دهاش

كلية الآداب واللغات والعلوم الإنسانية

جامعة المدية

Résumé :

Cette étude comprend un modèle de l'unité administrative et militaire appliquée par le prince Abdel-Kader, quand il a fondé l'Etat et ressortissant algérien moderne, dans la première moitié du XIXe siècle ont jeté l'Emir Abdelkader dans ses garçons les valeurs de tolérance, de dialogue la réconciliation et la solidarité entre les Algériens d'aborder le projet de l'occupation française de l'Algérie, alors il a essayé l'Emir Abdelkader de retourner en Algérie, l'unité politique et le prestige de l'armée lors de la ré-envoi à ce projet Etat algérien moderne, la plus ancienne du Prince Abdelkader de répondre au projet de projet: un projet exotique colonial et jihadiste projet national algérien authentique

ملخص:

تتضمن هذه الدراسة نموذجا للوحدة الإدارية والعسكرية التي طبقها الأمير عبد القادر عندما قام بتأسيس دولة وطنية جزائرية حديثة، في النصف الأول من القرن التاسع عشر فقد أرسى الأمير عبد القادر في دولته الفتية قيم التسامح والحوار والمصالحة والتضامن بين الجزائريين من أجل التصدي لمشروع الاحتلال الفرنسي للجزائر، وهكذا فقد حاول الأمير عبد القادر أن يعيد للجزائر وحدتها السياسية وهيبته العسكرية من خلال إعادة بعثه لمشروع الدولة الجزائرية الحديثة، فقد أقدم الأمير عبد القادر الجزائري على مقابلة مشروع بمشروع، مشروع استعماري دخيل بمشروع وطني جزائري جهادي أصيل.

المقدمة:

حقيقة هناك عدة استفسارات تاريخية عرجت عليها في ثنايا هذا البحث، فكانت كالتالي: ما هي أسس دولة الأمير عبد القادر؟ وما التكوينات السياسية والعسكرية لهذه الدولة؟ وما موقع وحدة الفكر الوطني فيها؟ وللإجابة على كل هذه التساؤلات، فكان لزاما علينا أن نذكر تلك الخرافات التي جادت بها أقلام المدرسة التاريخية الفرنسية في النصف الأول من القرن التاسع عشر، ومن أمثلة ذلك تلك الترهات التي تقول بأن الجزائر كانت أرضا سائبة ولم تكن في يوم من الأيام تمثل دولة مستقلة بذاتها. وانطلاقا من هذا الطرح المغلوط والمقلوب شكلا ومضمونا، فكانت حكومة الجزائري في ظل الاحتلال الفرنسي ترى بأنها جاءت لتحيي أرضا كانت ميتة و تملأ فراغا لطلما انتظرته لدعائها بأنها كانت تحمل رسالة حضارية عظيمة بهدف تمدين الجزائر، ولكنها في الحقيقة كانت تسعى إلى إقامة دولة فرنسية متحضرة بأرض الجزائر لأبنائها الفرنسيين. ولذلك رد الأمير عبد القادر البطل الجزائري المغوار على ذلك عمليا بتأسيسه لدولة وطنية جزائرية مستقلة لتعبر عن آمال وألام الجزائريين مفندا بذلك مزاعم الاحتلال الفرنسي الباطلة والمغرضة.

I - شخصية الأمير عبد القادر الجزائري وبعض الآراء فيه :

ولد الأمير عبد القادر الجزائري [1] في بلدة القيطنة بالقرب من مدينة معسكر في الغرب الجزائري، فقد تربى في وسط عائلي عربي إسلامي محافظ، حفظ القرآن وهو صغير، وأدى فريضة الحج برفقة أبيه، فقد جمع الأمير عبد القادر بين القلم والسيوف، فهو الأديب والشاعر والصوفي والمحارب الشجاع فقد خلف والده في الجهاد ضد الاحتلال الفرنسي منذ سنة 1832 [2].

و اكتسب الأمير عبد القادر الجزائري حنكة سياسة وعسكرية اعترف بها العدو قبل الصديق، فقد جاء ذلك على لسان الإمبراطور نابليون الثالث [3] عندما قام بإطلاق سراحه من سجن أمبواز [4]، وقال للأمير عبد القادر " لقد سلمت سيفك إلى

فرنسا ولكن فرنسا لا تريدك أن تخرج من بلادها بدون سيف وها إنني أقدم لك هذا عوضا عن ذاك" [5] وبعدها توجه إلى الأستانة[6] فقابل السلطان عبد المجيد خان[7] أين مدحه الأمير عبد القادر بقصيدة لامية فكان مجموع أبياتها 35 بيتا ،والتي كان مطلعها

"الحمد لله تعظيما وإجلالا ما أقبل اليسر بعد العسر إقبالا [8].

وفي الأخير استقر الأمير عبد القادر الجزائري بدمشق واستقبله الدمشقيون بترحاب كبير وكان على رأسهم الوالي محمود نديم [9]، والقائد العسكري السيد عزت باشا [10]، وعدد كبير من أعيان المنطقة ، وتم كل ذلك عند بلدة " تدمر " [11] إلى درجة أنه قيل " لم يدخل دمشق عربي رحب به هذا الترحيب منذ صلاح الدين الأيوبي ، بل وكانت داره بدمشق تعرف بدار السيد " [12].

وأصبح للأمير عبد القادر الجزائري بعدا دوليا لشخصيته الإسلامية العالمية التي اكتسبها خاصة منذ سنة 1860 عندما بقي مدة أربعة عشر يوما وهو مسخر كل إمكانياته من أجل نصرة المظلومين من المسيحيين رفقة مجموعة من إخوانه الشاميين المخلصين، ونذكر منهم على سبيل المثال الشيخ محمود حمزة مفتي دمشق[13]، وآل العابد [14]، وآل المهياي، فقد أنقذ الأمير حوالي " خمسة عشر ألفا" من القناصل والرهبان والراهبات من المسيحيين[15]، لذلك كان هذا العمل الإنساني الرائع والمسؤول قد أكسب الأمير عبد القادر شهرة عالمية ، فقد عدّ من رجالات حقوق الإنسان والمدافعين عن حرية الأديان ويدخل هذا الفعل الحميد في عمل الداعين إلى ثقافة التسامح وإلى حوار الأفكار والأديان والثقافات ، فكان هذا العمل ينسجم تماما مع ما كانت تدعو له وإليه الهوية العربية والإسلامية لشخص الأمير عبد القادر ونبل أخلاقه وسمو شخصه ، فبال ذلك راحة الضمير قبل هدايا الشكر والأوسمة والنياشين[16] التي قدمت له ، فكان الأمير عبد القادر قرآنا وإسلاما يمشي على الأرض لذلك كان ومن أجله فعل وجد واجتهد .

وفي الحقيقة لم يكن هذا السلوك الإنساني النبيل والمتحضر بغريب على شخصية الأمير عبد القادر المتزنة والرزينة ، فكان من طبعه التحرك في الوقت المناسب زمانا ومكانا وبحكمة وهمة رفيعة سواء أكان ذلك في الجزائر أو خارجها ، فكانت شخصية الأمير عبد القادر شخصية مثمرة و معطاءة و متأقلمة مع كل طارئ جديد ، وهذا ديدنه ، وذلك منهجه ومنهاجه ، هذا و كان العلم والشرف والفضيلة والتعفف مسلكه ، لذلك قال فيه الدكتور عفيف البهنسي[17] عندما قام بتقديم كتاب "ناصر الدين الأمير عبد القادر" الذي ألفته الأميرة بديعة الحسيني الجزائري [18] " كان الأمير عبد القادر الجزائري بطلا على ساحة بلاده وهو الآن بطل على ساحة العالم كله " [19].

وتحقيقا لهذه المكانة العالمية المرموقة التي نالها الأمير عبد القادر الجزائري ، فلم يكن العسكريون الفرنسيون يطلقون عليه أمير المؤمنين فقط ، بل وأيضا " رئيس الوطنية العربية " [20].

وهكذا فقد اعترف بعبقريّة الأمير عبد القادر الجزائري، القريب والبعيد ، العدو والصديق ، وخاصة في مسألة بناء أركان الدولة الجزائرية الفتية، فها هو السيد فورني وهو أحد الشخصيات الفرنسية البارزة يؤكد من جديد بأن الفرنسيين لم يبدؤوا الحرب سنة 1832 ، على رجل طموح فقط ، وإنما على شعب يتكون ودولة تبنى [21]، وإن كنت أعترض على هذه الفكرة الملغمة ، لأن الشعب الجزائري كان موجودا وحاضرا بقوة في المحافل الدولية قبل الأمير عبد القادر وقبل الاحتلال الفرنسي للجزائر بقرون عديدة.

II - أسس بناء دولة الأمير عبد القادر الجزائري:

1- التكوينات السياسية والإدارية لإعادة بعث الدولة الجزائرية الفتية:

جاء الأمير ومن معه من الجزائريين، بعمل يحض افتراءات المستعمر، فقد أسس الأمير عبد القادر دولة جزائرية حديثة بمؤسساتها وهياكلها، وكان ذلك تأكيدا منه على استمرارية للدولة الجزائرية التي كانت موجودة قبل الاحتلال الفرنسي للجزائر

والتي تتجاهلها الأقاليم الفرنسية ، وتأكد زورا وبهتانا على نشأة الدولة الجزائرية منذ فجر الاحتلال الفرنسي الغاشم للجزائر، لذلك فقد سعى الأمير عبد القادر جاهداً بربط العربية بالقاطرة ليكون خير خلف لخير سلف، ليصب عمله هذا في خانة بناء الجيل الجديد على ما بناه الجيل القديم ، والمتمثل في ديمومة واستمرارية الدولة الجزائرية الحرة المستقلة بأرضها وشعبها .

وإذا حاولنا تتبع خطوات الفكر السياسي الحديث في الجزائر، ليس في جانبه الفكري الفلسفي ، وإنما في جانبه العملي التطبيقي ، فيمكن أن نقول وبدون تحيز بأن الأمير عبد القادر الجزائري يعد من بين أهم الرجال الأوائل الذين نزلوا من مستوى حركة الأفكار، إلى مستوى الواقع العملي في بناء الدولة الجزائرية الحديثة وتجسيدها ميدانياً. فقد تبلورت أعمال الأمير عبد القادر الجزائري من خلال التنظيمات الإدارية والعسكرية التي اتبعها في خطته النضالية والتي راعى فيها طبيعة الفرد الجزائري وخصوصياته ومكوناته الحضارية ، فأرض الجزائر بكل أبعادها الثقافية والتاريخية خير دليل على ذلك.

فلجأ الأمير عبد القادر إلى سلسلة من التنظيمات الإدارية من أجل إحكام سيطرته و فرض النظام والانتظام ، لذلك فقد قسم المناطق الخاضعة لسلطته إلى ثمانية ولايات [22]، وتقسيمه كل ولاية إلى مجموعة من الدوائر، ونصّب على رأس كل دائرة "أغا" ، وقسم الدوائر إلى مجموعة قبائل وعين على كل قبيلة "القايد"، وقام بتقسيم هذه الأخيرة إلى قرى ومدا شر وعين على كل واحدة منها مسؤولاً يدعى "الشيخ".

ونصّب الأمير عبد القادر الجزائري على رأس كل ولاية من الولايات الثمانية التابعة لدولة الأمير خليفة له ،وهو القائد الأول المباشر للأمير عبد القادر وكان من مهامه حفظ الأمن وتحميل الزكاة و العشور والضرائب ، وفرض النزاعات بين المواطنين وأما خلفاؤه فكانوا موزعين كالتالي: جنوب غرب وهران (قدور بن عبد الباقي)، تلمسان (محمد البوحميديالولهاصي)،معسكر(مصطفى بن أحمد التهامي)،مليانة (محي الدين بن علال القليعي ثم محمد بن علال)، التيطري "المدية " (محمد البركاني)، مجانة وعاصمتها سطيف (محمد بن عبد السلام المقراني ثم محمد الخروبي ، ثم محمد بن عمر الغسيري)، الزيبان وعاصمتها بسكرة (فرحات بن سعيد ،ثم حسن بن عزوز، ثم محمد الصغير)، برج حمزة وعاصمتها البويرة (أحمد بن سالم الديسي) [23].

وكان لدولة الأمير عبد القادر فيما يعرف اليوم بمنصب رئيس الوزراء والذي كان من نصيب السيد محمد العربي ، وأما السيد أبو طالب أحمد بن علي ابن الأمير فكان كاتباً للدولة ، ثم السيد الحاج مصطفى بن تهامي ، و الحاج محمد الخروبي، ومحمد بن عبد الرحمن المرسلي، ومصطفى بن العوني، والسيد محمد بن الحاج علي الرحاوي كانوا بمثابة وزراء للتشريفات ، وأبو سعيد محمد بن فريحة للخزينة الخاصة ، وأبو عبد الرحمن الحاج الطاهر أبو زيد للأوقاف وخزينة الدولة ، وأبو محمد الحاج الجيلاني العلوي بن الهاوية ، للأعشار والزكاة ، و أبو محمد الحاج المولود بن عراش للخارجية [24].

و كان حكم الامير عبد القادر الجزائري يتصف بالعدل والمساواة بين الراعي والرعية ،و بين الشعب والمسؤولين، وبين المدنيين والعسكريين ،فقسم بين السلط الثلاثة ،فعين في السلطة التنفيذية مجموعة من وزرائه الستة و الذين توزعوا على الوزارات الهامة التالية : الداخلية والخارجية، والحربية ، و الحبوس، والخزينة ، و العشور والزكاة، وأما السلطة التشريعية فكانت تضم مجموعة من الائمة والفقهاء وكان يرأسها المجلس الشوري ،واهتم الأمير عبد القادر بدرجة أكبر بالسلطة التشريعية لما لها من أهمية كبيرة في التوجيه الحسن لدواليب الحكم ، لذلك عين السيد أحمد بن الهاشمي المراهي بمساعدة السيد بن عبد المصطفى المشرفي كقاضي القضاة للمذهب المالكي باعتباره المذهب الرسمي للدولة الوطنية الجزائرية .

وأما فيما يتعلق بالسلطة القضائية فكانت تتكون من العديد من القضاة المدنيين والعسكريين وكان يرأسها رئيس مجلس الشورى ، ودعم الأمير عبد القادر دولته الفتية بمجموعة من الدواوين نذكر منها على سبيل المثال لا الحصر، ديوان الإنشاء والتعمير والذي كان يتعلقبكل مراسلات الأمير و كان يعنى بكل صادر ووارد من وإلى دولة الامير ،وولى عليه السيد الحاج مصطفى بن أحمد تهامي [25].

وقام الأمير عبد القادر الجزائري بتنظيم الشؤون الداخلية لدولته ، فقام بتعيين السيد أبي محمد السيد الجيلاني بن الهادية في منصب

ما يسمى اليوم بوزارة الداخلية ، أما كَتَّاب النواب فكانوا يعينون من السادة الأشراف ، كالسيد أحمد بن أبي طالب ، والسيد مصطفى تهامي ، كما أنشأ الأمير "ديوان المالية ترأسه السيد أبي الحاج عبد الله الجبلاني بن فريحة ، أما حجابة الخزينة فقد أعطيت إلى السيدين محمد بن الحاج علي الرياحي ، و الحاج النجادي الرياحي.

ومن أجل ربط الداخل بالخارج فقد قام الأمير عبد القادر الجزائري بإبصال البر بالبحر بواسطة اللجوء إلى عدة موانئ ولا سيما في الغرب الجزائري، كميناء رشقون و شرشال وأرزيو ، و التي كانت تابعة للولايات الثلاثة التالية وبالترتيب : تلمسان ، مليانة، معسكر، وكان الأمير عبد القادر الجزائري هو من يختار بنفسه المسؤولين [26] الذين يتولون المناصب الهامة في جميع القطاعات، فكان ينتقيهم من بين أحسن الكفاءات العلمية والفكرية والإدارية والعسكرية والاقتصادية التي تتصف بالقدرة و تحمل المسؤولية والالتزام، بعيدا عن المحاباة أو المحسوبية أو القرابة .

ومن بين أهم المعايير التي كان يركز عليها الأمير في اختياره أعوانه وموظفيه هي: التضحية بالمصلحة الخاصة للصالح العام ، والحركية والجدية والفعالية، والإخلاص في العمل واثقانه، والتفاني في حل مشاكل الغلبة من الناس، و الصبر على جلب المنافع للوطن والكفاءة وبعد النظر والنزاهة، والجمع بين العلم والدين والاخلاق، و لذلك فلا نتعجب من ذلك إذا رأينا الأمير عبد القادر يطبق هذه القيم النبيلة على أقرب الناس إليه، فهي هو أخاه مصطفى بن محي الدين الذي ولاه على ولاية المدية ثم تبين له بعد ذلك بأنه لم يكن رجلا كفؤا، فكان انسان أميل للدين منه للسياسة والإدارة ، فأقدم على عزله من منصبه، وعين مكانه السيد محمد البركاني، وهكذا كان الأمير عبد القادر الجزائري يطبق مبدأ الرجل المناسب في المكان المناسب، كما نجده قد عين فرحات بن سعيد على الصحراء والذي كان بالأمس من أشد خصوم أحمد باي ، فحاول الأمير عبد القادر بذلك أن يستفيد من خبرته الطويلة ومن سمعته الطيبة بين الجزائريين . ناهيك أنه كان لا يتسلم أحدا من خلفائه منصبا حتى يؤدي اليمين والذي أطلقت عليه الأميرة بديعة الحسني اسم " القسم المقدس " [27]. فكانت بذلك إدارة دولة الأمير عبد القادر إدارة شرعية أصيلة ، ومختارة بطريقة ديمقراطية من القمة إلى القاعدة ، وكانت ادارته عادلته في نسق محكم فريد من نوعه ، وبهذا تكون الجزائر سباقة في ارساء دعائم الديمقراطية عن كثير من الدول الأوروبية التي تتشدد على الدول الضعيفة بنظامها الديمقراطي التي تراه أفضل نموذج في العالم كله.

وكان الأمير عبد القادر الجزائري يملك خاتما أميريا كبيرا للدولة، وكان ذو ثلاثة مظاهر، الأول عبارة عن دائرة داخلية صغيرة كتب داخلها اسم الأمير " ناصر الدين الأمير عبد القادر " ، وكتب في وسطه بيتا شعريا كشعارا فلسفي وديني [28] " من تكن برسول الله نصرته إن تلقه الأسد في آكامها تجم " وكتب على الجوانب الله ورسوله والخلفاء الراشدين الأربعة " الله - محمد - أبو بكر - عمر - عثمان علي " ، زيادة على التاريخ الهجري [29]. وتعد الراية رمزا رئيسيا للدولة ، لذلك كان لدولة الأمير عبد القادر ، علم باللون الأبيض والأخضر وكانت تتوسطه دائرة كتب عليها الآية الكريمة التالية " نصر من الله وفتح قريب " وكتب تحتها مباشرة اسم الأمير " ناصر الدين عبد القادر بن محي الدين " [30].

ومع ذلك لا أنفق مع رأي الأميرة بديعة الحسني فيما ذهب إلىه ، عندما راحت تقول بأن الأمير عبد القادر لم يعتمد على تقاليد في الحكم نقلا عما سبقه ، وتذهب بعيدا في طرحها عندما تقول وببساطة " أنه أقام حكومة من العدم " [31].

غير أن الموضوعية تقتضي منا الإشارة إلى أن عمل الإنسان مهما كان مبتكرا إلا أنه يحوي مسحة ولو رمزية لخبرات وتجارب من سبقه ، في هذا الاختصاص أو ذاك ، فأسلوب العدمية عمل غير مستساغ في التاريخ خاصة لمن أراد كتابة التاريخ ، فما بالك لمن صنع ويصنع التاريخ كالأمير عبد القادر الجزائري الذي صنع التاريخ بيده وبقله وبقلبه بحق وصدق ، بسيفه وقلمه وفكره ودمه وماله ما كان ليكون للأمير عبد القادر الجزائري كل هذه المكانة الوطنية والدولية لو لم يستند من خبراته وتجاربه التي قادته إلى العديد من الدول العربية والإسلامية ، ومجالسته لكثير من العلماء والمفكرين وصقل مواهبه الفطرية وتأملاته الفكرية والفلسفية والروحية و مطالعته لكثير من كتب التراث العربي والإسلامية الغني بأمجاده وبطولاته التي انتقاها الأمير انتقاء .

2- الأسس العسكرية لدولة الأمير عبد القادر :

لقد أجاد الأمير عبد القادر تنظيم جيشه خاصة عندما وضع الركائز الأساسية لبناء صرح دولة جزائرية فنية ، وذلك وفق استراتيجية سياسية وعسكرية محكمة. ومن هنا برزت النظرة الاستراتيجية البعيدة العميقة والمتفحصة للأمير عبد القادر الجزائري، فأصبحت عنده قناعة راسخة بأن المحتل دخل بالقوة فلا يمكن أن يخرج إلا بمثلها ، وبما أنه كان أمام عدو شرس متمرس منظم ومتكامل في خطوطه العامة ، فكان الجيش الفرنسي يملك عدة وعددا أكبر بكثير ما يوجد عند الأمير عبد القادر ، وانطلاقا من كل ذلك أراد الأمير عبد القادر الجزائري أن يحيي الجهاد في نفوس الجزائريين ، مما جعل الجزائريون يقبلون بكل طوعية وحماس شديد من أجل الانضمام إلى جيش الأمير عبد القادر الجزائري بفخر واعتزاز .

ونلمس هنا حقيقة الفكر الوطني الواقعي الذي امتاز به الأمير عبد القادر الجزائري خاصة وأنه كان شاعرا بهول الموقف الصعب و المتمثلي التفوق الحربي للعدو الفرنسي خاصة في جانبه المادي و لذلك لا يمكن الوقوف أمام هذا التنظيم العسكري للجيش الفرنسي، إلا بتنظيم معاكس ليس بالضرورة أن يساويه بل أن يقف أمامه الند للند للحد من خطورته، وهو أضعف الإيمان مع مراعاة ضرورة الاستفادة من تفوق الطابع الجغرافي الذي كان لصالح الأمير عبد القادر. فكان الأمير عبد القادر الجزائري يعلم جيدا معنى رفعه لنداء الجهاد في وجه العطرسة الاستعمارية الفرنسية و لذلك كان عليه أن يعد العدة اللازمة لمواجهة عدو مدجج بالسلاح ، له إمكانيات سياسية وعسكرية واقتصادية هائلة .

و حاول الأمير عبد القادر الجزائري الشيء المستحيل لا يقوم بالتجنيد الإجباري للجزائريين نظرا لحساسيتهم المفرطة تجاه هذا النوع من التجنيد القهري، لأن هذا النوع من التجنيد جرب في عهد العثماني وثبت فشله ، لأن الإنسان الجزائري يأبى العمل الإجباري ويحبذ العمل الاختياري المستقل فكان الفرد الجزائري يقف دائما إلى جانب من يدافع عن مصلحته ويحارب كل دخيل يتعرض لمصالحه. و هذا ما يؤكد المرسوم الأمري الذي أصدره مولانا ناصر الدين (الأمير) الخاص بتجنيد الأجناد وتنظيم العساكر الذي كان يتم طوعية، لذلك طالب الأمير عبد القادر الجزائري من المتطوعين الجزائريين بضرورة الإسراع إلى دار الإمارة بمعسكر لتقييد اسمائهم في الدفاتر الأميرية" [32]. وكان جيش الأمير عبد القادر يتكون من نوعين من الجيش، جيش نظامي، وجيش تطوعي.

ولما لم يعد الجيش التطوعي الجزائري قادرا لوحده في دحر الجيش الفرنسي القوي اتجه الأمير عبد القادر الجزائري إلى إعداد جيش نظامي حديث والذي كان يتكون من ثلاثة أنواع : المشاة (العسكر)، والفرسان (الخيالة) ، و المدفعية (الطوبجية)، فأسند الأمير عبد القادر قيادة جيش المشاة إلى السيد قدور بن بحر ، و وضع الفرسان (الخيالة) تحت إمارة عبد القادر بن عز الدين ، وأما جيش المدفعية فكان يسيره السيد محمد السنوسي. وكان الجيش النظامي يقوده في البداية محمد أغا ، والمسمى ابن كسكسه وأما الحرس الأميري فكانت تحت إمارة الأغا الزنجي، وأما فيما يخص الجيش غير النظامي (التطوعي) و الذي كان يتكون من القبائل المؤيدة للأمير عبد القادر الجزائري فقد بلغ ألف مقاتل من المشاة والفرسان في سنة 1838 [33].

وبلغ مجموع الجيش النظامي للأمير عبد القادر يقدر بحوالي ثلاثة وستين ألف مقاتل في سنة 1839 [34]، لكن الشيخ عبد الرحمن الجيلالي أعطى رقما أقل قدره بحوالي ستة عشر ألف جندي وأردف قائلا بأن الجيش الرسمي أو ما يعرف بالجيش النظامي لم يكن يتجاوز هذا العدد إلا نادرا [35]. وكان الشيخ عبد الرحمن الجيلالي يرى بأن هذا العدد ليس خاصا بالجيش النظامي فقط ، بل والجيش التطوعي أيضا ، لذلك كانت غالبية جيش الأمير من فرسان أو خيالة ، وكان الأمير عبد القادر الجزائري قد وضع بين ألف وألفين من المشاة ، ومائتين إلى خمسمائة فارس تحت قيادة كل خليفة [36]. أما السيد إسماعيل العربي فقد قدر قوات الأمير عبد القادر الجزائري غير النظامية خلال الفترة الأولى من حكم الأمير بحوالي 60.000 جندي تمده بها القبائل ، في حالة الطوارئ ، فيما بلغت الجيوش النظامية 8.000 جندي و 2.000 من الفرسان و 240 مدفعا [37].

وكان الأمير عبد القادر يجتهد كثيرا في إيجاد قوانين تنظم القطاع العسكري وعلاقته بمختلف القطاعات الأخرى ، لذلك أصدر المجلس الشورى عدة قوانين تهدف إلى تنظيم الجيش الأميري (المحمدي)، فمثلا كان تعيين الخليفة يقرر داخل الديوان الأميري ،

وعند ما يتم تكليفه بمهمته الجديدة، يسلم له خاتما نقش عليه اسمه ولقبه ويقدمه لبرنوسا بحسب رتبته ، وبعد ذلك يحلف بيمين الطاعة ، والعمل بإخلاص والتضحية في سبيل إمارته وشعبها [38].

وأما أهم القوانين التي سنّها الأمير عبد القادر ، على الإطلاق ، على الأقل في رأي الشخصي، هو قانون الجيش المحمي والذي دونه السيد قدور بن روية [39] ، في الكتاب المشهور باسم "وشاح الكتائب وزينة الجيش المحمي الغالب" ، والذي كان يتكون من 24 بنداً [40]. ويعد هذا الكتاب قمة ما توصل إليه فكر الأمير عبد القادر وصحبه خاصة في الميدانين العسكري والتنظيمي، وهذا إن دل على شيء إنما يدل بكل وضوح إلى العناية الفائقة التي كان يوليها الأمير عبد القادر الجزائري لمسألة القوة المادية التي يجب أن تكون بجانب القوة الروحية.

و أنشأ الأمير عبد القادر الجزائري عدة حصون وقلاع في تافراوت (سبدو) جنوب تلمسان، وفي سعيدة وفي طارولار، وفي جنوب معسكر ، وفي تكدا مت قرب تيارت ، وبتازافي جنوب شرق مليانة، وهي اليوم تسمى بلدية برج الأمير عبد القادر بولاية (تيسمسيلت)، وفي بوغار جنوب المدية [41]. وكان الأمير عبد القادر الجزائري قد وضع نظاما صارما لجيشه النظامي فكانت مثلاً تقرأ عليهم التنظيمات العسكرية مرتين في الشهر وذلك لمختلف الوحدات العسكرية، ومن أمثلة تلك التعليمات التي كانت تبث فيهم الروح الوطنية المتسريلة بروح اليقظة والتأهب لكل الطوارئ ، نكتفي بذكر واحدة منها و التي تؤكد على أنه "من الضرورة أن يكون القائد شخصيا شجاعا ، مقداما ، وأن يكون من أسرة محترمة صبوراً ، حليماً حذراً حاضر البديهة ، ذكياً ساعة العسر" [42].

وعلى الرغم من المجهودات الكبيرة التي بذلها الأمير عبد القادر في إرساء دعائم دولته ، إلا أنه كان يوجد لديه الكثير من خصومه وخاصة منهم الأجانب الذين اتهموه بالتعصب والجهل والتخلف، فهذا السيد مارسيل إمریت [43] أحد المفكرين الفرنسيين، وصاحب كتاب "الجزائر في عهد الأمير عبد القادر" والذي قال عنه بأن الأمير عبد القادر الجزائري كان صاحب فكر جهوي ، غير أنني وأنا أتصفح كتاب قدور بن الرويلة السابق الذكر، لفت انتباهي إلى وجود قائمة لثمانمائة جندي مقسمة لكل مائة ، فقد ذكر فيها اسم ولقب كل هؤلاء الجنود والضباط ، وحددت أوصافهم الحسية تحديدا دقيقا وإن كان يبدو لأول وهلة بأن العملية سهلة وبسيطة، ولا تعدو أن تكون مجرد إحصاء فقط، إلا أنه رغم ذلك فهي عملية متعبة وشاقة ، أما بالنسبة إلي فقامت في أول خطوة بإحصاء كل فرد ، ورتبتهم حسب الجهة التي ينتمي إليها الجنود ، لذلك جعلت منهاجا واضحا أسير عليه وهو أنه عندما وجدت جنديا تم ذكر إسم أصله ثم منشئه ، وداره ، فرحت أنا ووصفته على أساس المقياس الأخير وهو (المنشأ) فمثلا محمد بن علي الزواوي الأصل البلدي المنشأ ، وبعد ذلك قمت في مرحلة ثانية بترتيب الأسماء إلى ثمانية مناطق رئيسية وهي مليانة، و معسكر، والبليدة ، و المدية ، والجزائر، والشرق ، و الزواوة (منطقة القبائل بقسميها الكبرى والصغرى)، وأخيرا الصحراء .

وفي المرحلة الثالثة قمت باستخراج النسبة المئوية لكل منطقة جغرافية، وعليه جاء الترتيب كالتالي: فجاءت منطقة مليانة ومجاورها في المرتبة الأولى، بنسبة تقدر بحوالي 20.37%، وهي أعلى نسبة على الإطلاق ، ويرجع ذلك إلى عدة أسباب نذكر منها : الموقع الجغرافي الممتاز لهذه الدائرة الحربية والجغرافية والتي كانت في هذه الفترة في مأمن من عيون العدو ، وذلك قبل احتلالها في أربعينيات القرن التاسع عشر، إضافة إلى موقعها الجغرافي الذي يتوسط بين البليدة والمدية من جهة ، والغرب الجزائري من جهة أخرى ، أين توجد دائرة معسكر ، زيادة على توفرها على العديد من معامل الذخيرة الحربية التي كانت تتواجد بمنطقة مليانة.

وجاءت منطقة معسكر في المرتبة الثانية ، بنسبة إجمالية تقدر بحوالي 17%، و احتلت منطقة البليدة وقصاحيها المرتبة الثالثة ، بنسبة تقدر بحوالي 14,36%، وتحصلت منطقة المدية على المرتبة الرابعة بنسبة تقدر بحوالي 13,25%، و أما المرتبة الخامسة، فكانت من نصيب إقليم الجزائر العاصمة وما جاورها، بنسبة 11,20%، ونالت منطقة الشرق رغم اتساعها على المرتبة السادسة، بنسبة 9,49%، وربما يرجع هذا التدني في النسبة إلى وجود مقاومة أحمد باي الذي كان يسيطر على

الشرق كله تقريبا. وفي المرتبة ما قبل الأخيرة ، نجد منطقة الزواوة التي احتلت المرتبة السابعة، بنسبة 8%. وأخيرا، منطقة الصحراء، بنسبة 3,34%. وعثرت أيضا في هذه القائمة على قلة قليلة من الجنود من دول المغرب العربي، كالجنود المغاربة خاصة من مدينة مراكش والذين قدرت نسبتهم بحوالي 1,62%، وجنود أترك قد يكونوا من بقايا الكر غليين[44]، بنسبة 0,75% ، وعدد من الجنود التونسيين خاصة من تونس العاصمة ، وكذا من مدينة سوسة ، بنسبة إجمالية قدرها 0,62%، مما يدل بأن الأمير عبد القادر الجزائري لم يكن شخصية جزائرية عادية فقط ، بل كانت له أبعاد مغربية وإسلامية وعالمية فكان شخصية محورية ، متعددة المواهب و الاتجاهات، خاصة و أن الأمير عبد القادر كان يطمح في الاستراتيجية التي وضعها إلى تحقيق ثنائية سياسية وعسكرية خطيرة وتتمثل في : التأسيس الفعلي لجيش جزائري مدرب ومنظم على حرب الكر والفر (العصابات)، وإعادة بعث وإحياء للدولة الجزائرية القوية والموحدة المغيبة و ذلك بالجمع بين الأصالة والمعاصرة.

وعند الاحتلال الفرنسي للجزائر اتجهت فرنسا نحو التخلص من الأتراك بالقتل أو بالتهجير نحو المشرق العربي ليلتحقوا بالداي حسين[45] ، والبقية الباقية ناصبت الأمير عبد القادر الجزائري العدا لا لشيء إلا لأنه سوى بين سكان المدن والأرياف وألغى كل الامتيازات التي تحصل عليها الكراغلة في وقت مضى فمنهم من وصلت به الجرأة إلى حد الاستجداد بالفرنسيين ضد الأمير عبد القادر.

ولذلك لم يستطع الأمير عبد القادر التعامل مع هذه العناصر باستثناء بعض رجال الدين وشيوخ الزوايا مثل البوحيمدي مرابط منطقة الطرارة والذي نصبه الأمير عبد القادر خليفة على تلمسان و سدي مبارك القليعي الذي عين على مليانة، والبركاني الذي عين خليفة على المدية ، وكذلك أحمد بن سالم المرابط الذي عينه خليفة على جرجرة.

وعند ملاحظتنا وتدقيقنا لتشكيلة جيش الأمير عبد القادر الجزائري، نجده غنيا ومتنوعا بتركيبته البشرية، فهو جيش شامل ومتنوع لمعظم مناطق القطر الجزائري التي كانت تخضع لسيطرة الأمير و هذا إن دل على شيء إنما يدل دلالة قطعة على شعبية الأمير عبد القادر الواسعة ، والتي تصل حتى في المنطقة الشرقية التي كان يسيطر عليها أحمد باي[46] ، لذلك وجدنا في هذه القائمة الاميرية الجبلي، والسطايفي، والقسنطيني، والعنابي ، والشاوي... الخ، وفي منطقة الجنوب الجزائري ، نجد الصحراوي ، والمزابي، والمسيللي ، والطولقي ، والأغواطيو البسكريو السوفي.

أما في المنطقة الوسطى بتقسيم اليوم فقد وجدنا في هذه القائمة الخاصة بأسماء الجنود النظاميين، جنودا من منطقة القبائل، تحت اسم الزواوي، في كل من تيزي وزو، وبجاية، وأما في منطقة البلدة، فقد وجدنا، البليدي، والقليعي والحجوطي، والشرشالي، و أما في منطقة مليانة، فإننا عثرنا على الجندي الملياني، والريغي، والجندي، والعطافي، والشلفي... الخ.

ومن خلال استنتاجاتنا لهذه القائمة، بدى لنا بأن فكرة ابن المنطقة أو ابنا لدرسة، هو الفكر السائد والمفضل على حساب العناصر الأخرى عند الكثيرين من المسؤولين، كان فكرا مرفوضا عند الأمير عبد القادر الجزائري، وعليه فإن المسؤول الحقيقي في فهم الأمير عبد القادر ، هو ذلك الذي الإنسان الذي يلتزم بحدود عمله، ومقدما المصلحة العامة على المصلحة الخاصة. فالإنسان الوطني في نظر الأمير عبد القادر، هو الإنسان الذي يقتحم الميدان ويدخل المعركة من بابها الواسع و عن قناعة من أجل أن يعيش حرا في ظل مبادئه وقيمه العربية والإسلامية ، علما بأن الدولة الوطنية التي وضع قواعدها وأسسها الأمير عبد القادر، قد شارك فيها جميع أبناء الجزائر على اختلاف مناطقهم و بأبعادها الأربعة ، شمالا وجنوبا شرقا وغربا.

وإذا كانت فرنسا فيما قد حاولت زرع جسم غريب داخل الأمة الجزائرية ، ومحاولة منها تجزئة الوحدة الترابية والشعبية للجزائر، باقتراحها فصل الصحراء عن الشمال سنة 1956 بعد اكتشاف البترول، إلا أن هذا المخطط قد فشل ، لأن الأمير عبد القادر الجزائري كان قد سبق له أن وضع الأرضية الصلبة التي تنكسر عليها مثل هذه السياسة الاستعمارية ، ومن ناحية أخرى هناك شيئين قد استوقفا انتباهي وهما : وجود عنصرين رئيسيين تشترك فيهما القوائم الجند بنسبة 80%، فأما العنصر الأول: وهو أن معظم الجنود كانوا يحملون صفة الأمرد[47]، وفي هذه الحالة أستعبد أن تكون صفة الأمرد متأصلة في كل الجنود ،

وأرجح أن يكون القصد منه، هو خلق اللحي التي تدل على قوة الفتوة والشباب، ولا سيما في التنظيم العسكري الحديث. وأما **العنصر الثاني**: فكان يتمثل في أن معظم الجنود كانوا مصابين بمرض الجدري [48]، وهذا الطرح هو الآخر لا أستسيغه، لأنه قد يكون مجرد حب فقط، أما كونه مرضا معديا وخطيرا، وأن يكون صفة غالبية على جميع الجنود، ويتركها الأمير عبد القادر هكذا من دون معالجة، فأنا شخصا لا أعتقد بحقيقة ذلك، غير أنها نقطة مهمة تحتاج من الباحث إلى المزيد من تسليط الضوء تعميق و التمحيص والتدقيق. وبكل هذا النظام والانتظام رسم الأمير عبد القادر الجزائري معالم دولته الحديثة وفق استراتيجية علمية محكمة وملفتة للنظر، إلى درجة أنه كان يعتني حتى بالإسطبلات لذلك عين لها ناظرا يدعى السيد محي الدين بن عبد الله، والسيد بومدين بن أبي الذغن قائدا عاما للفرق الموسيقية العسكرية [49].

3- الأسس الثقافية لدولة الأمير عبد القادر:

وأنشأ الأمير عبد القادر لتسيير شؤون دولته الحديثة الفتية مجلسا أعلى للشورى و الذي كان يتكون من اثني عشر عضوا وكان يرأسه قاضي القضاة **أحمد بن الهاشمي المرحي**، و كان الأمير عبد القادر ينسق أعماله مع المجلس الشوري الذي كان يتألف من بعض فطاحل علماء وعقلاء الجزائر، كالسيد أحمد بن تهامي، والسيد عبد الله سقاط المشرفي و الذي أوفده الأمير عبد القادر كمبعوث خاص له إلى المغرب الأقصى ليستفسر له في فتاوى دينية خاصة من شيخ الإسلام الإمام التوسلي [50]. والسيد طاهر المحفوظي، والسيد أحمد بن الطاهر بن الشيخ المشرفي، والسيد محمد المختار الورغي، والسيد المكي الخرنوبي، والسيد المختار بن مكي الحاج عبد القادر بن روكس، والسيد إبراهيم بن القاضي [51]. وكانت لدولة الأمير عبد القادر " دارا للشورى " في كل ولاية من ولاياته الثمانية وكانت مهمتها النظر والبت في الأمور الهامة والمصيرية للدولة الجزائرية الفتية، من هذا المجموع ينتخب مجلس الشورى الوطني، وبذلك يكون الأمير عبد القادر قد ربط المجالس الولائية والبلدية والبرلمان بالرأس المدبر للدولة الوطنية الجزائرية بهذا المجلس الشوري الوطني، خاصة وأن الأمير عبد القادر كان عالما جليلا متبحرا في شتى أنواع العلوم والمعارف وبخاصة في الشعر واللغة والتصوف والأخلاق، فكان يحب العلم والعلماء والمفكرين، لذلك كان يشجع الحوار و يقيم ويحضر حلقات العلم والذكر، فكان يعمل على توسيع قاعدة انتشار التعليم والتعلم، فأقدم على زيادة عدد المدارس والكتاتيب، وقام بإعفاء شريحة الطلبة من الانخراط في الجيش لكي يتسنى لهم التفرغ للعلم والنهل من حياضه لا غير.

وفي الحقيقة كان الأمير عبد القادر الجزائري رجل علم وفكر وثقافة، فقد خلف وراءه مؤلفات عدة كان قد أثرى بها المكتبات العربية والإسلامية، ومن أهم كتبه كتاب " ذكرى العاقل وتنبية الغافل " الذي جاء في مقدمة و ثلاثة أبواب وخاتمة، والذي انتهى من كتابته سنة 1854، فخصص الباب الأول لفضل العلم والعلماء بحيث ركز فيه الأمير عبد القادر على دور العقل في ادراك العلوم، وأما الباب الثاني فكان في العلم الشرعي، وجاء الباب الثالث والأخير في فضل الكتابة [52]. وألف الأمير عبد القادر كذلك كتاب " المواقف " [53]، وكتاب " المقرض الحاد لقطع لسان الطاعن في دين الإسلام من أهل الباطل والإلحاد "، وكتاب " نزعة خاطر في قريظ الأمير عبد القادر " [54].

وإذا دققنا في نوعية الأسس الثقافية التي حاول الأمير عبد القادر الجزائري ترسيخها في المجتمع الجزائري هي تركيزه على نشر ثقافة التضامن الاجتماعي والأسري المبني على الحرية والعدل والمساواة، والتسامح ونبذ التعصب المقيت، ونشر ثقافة الالتزام التي يجب على الفرد الجزائري أن يقوم به أمام خالقه و وطنه ومجتمعه، لذلك قام الأمير عبد القادر بالحث على ترشيد القيم والعادات والتقاليد والثقافة الشعبية نحو خدمة المصالح العليا للوطن، كفكرة الإصلاح والمصالحة المبنية على حب الوطن والمحافظة على الأمن والأمان، والسلم والتسامح، والحوار بين الأنا و الآخر *.

III - المنهج الفكري والنضالي للأمير عبد القادر:

كان الأمير عبد القادر يرفض الاحتلال الفرنسي ، ففكر وواقعا ويعمل على مقاومته بشتى الطرق والوسائل، لذلك كان الأمير عبد القادر يرى بأن أهم هذه الطرق وأنجعها هو تحصين وتقوية النسيج الاجتماعي الداخلي ، بإشاعة الفكر الوطني الوحدوي و التضامني عن طريق تمتين الروابط الأسرية بإشاعة قضية التكافل الاجتماعي ، وتحقيق الوحدة الوطنية عن طريق تربية الأمة الجزائرية على مجاهدة النفس ، والجهاد في سبيل الوطن الجزائري المفدى .

وكانت فلسفة الأمير عبد القادر في حكم الدولة الوطنية الجزائرية الفتية تستند إلى منطلقات دينية صحيحة ومرجعية فكرية وحضارية قوية ثابتة ، والتي كانت أحد أهم ركائز المنهج النضالي والفكري لدى الأمير لا دارة دواليب حكم دولته، لأن الأمير عبد القادر القائد المحنك قد صاغ لنفسه منهجا واضحا سار عليه، منهج بطولي مبني على النزعة النضالية القوية من أجل تحرير الإنسان الجزائري وأرضه من سيطرة الفرنسيين المحتلين ، وكان كل ذلك يتم انسجاما مع الخط الفكري والإيديولوجي للأمير عبد القادر، وفلسفته في الحياة ، المبنية على الشفافية والتشاور، والفصل بين السلطات الثلاث التشريعية والقضائية والتنفيذية ، وباتباع منهج مبني على دفع المضرة وجلب المنفعة بالرفع من معنويات الجزائريين للتصدي بقوة للمشروع الاستعماري الاستيطاني ، واستغلال الفرص وتوظيف الإمكانيات المادية والروحية أحست توظيف.

وكان الأمير عبد القادر الجزائري يقوم بكل واجباته هذه كلها انطلاقا من حسه الوطني والقومي الذي كان يتم في قالب اجتهادي الذي كان يصب في المزج بين الأصالة والمعاصرة التي كانت تنبثق منه قيم التحدي والصمود والتخطيط لمستقبل الجزائر الواعد بكل أبعاده الزمكانية والحضارية . وكان الأمير عبد القادر يسعى لأجل تحقيق وحدة المغرب العربي ، وبذلك يكون أول زعيم عربي يسلك هذا الطريق في اتجاه هذا المنحى في العصر الحديث . وتطبيقا لهذا الإجراء فقد بعث الأمير عبد القادر سنة 1837 العالم الجليل الشيخ عبد الله السقاط إلى سلطان المغرب يحذره من نفوذ السياسة الاستعمارية في شمال إفريقيا [55].

وهكذا أصبح الأمير عبد القادر الجزائري، مدرسة لمن أتى بعده في نقطة مفصلية هامة ، لذلك فقد زواج بصدق وعمل بين الفكرة الدينية والوطنية التي استعصى جمعها عند الكثيرين ممن مال إلى أحدهما . وكسب الأمير عبد القادر الجزائري نقطة إضافية، قلّ ما نجدها عند الآخرين ، فقد مثّل الفكر الصوفي الأصيل أحسن تمثيل، ولكن الفكر الصوفي الذي سار عليه الأمير عبد القادر لم يكن فكر الصوفيين الدراويش بل كان فكرا يدعو إلى الحركية والتحرر والاستقلالية في الفكر والرأي والمنهج والمنهاج والمطابقة بين الأسلوب النظري و السلوك العملي ، هذا النوع من الفكر، هو الذي قاد الجزائر نحو معركة التحرير والاستقلال ، وهو السبيل الذي استقطب إليه كل أحرار الجزائر والحركات التحررية في العالم . وأمام عدم تكافؤ ميزان القوى بين الطرفين المتصارعين ، كان الأمير لا يتردد في قبول الحلول الوسطى، و المرحلية والظرفية في مهاجمة العدو ، حتى يستكمل ويسترجع جميع عناصر القوة الضرورية ، للمعركة الفاصلة [56].

وعمل الأمير عبد القادر الجزائري على تقوية دولته في الداخل والخارج ، ففي الداخل، كان يسعى إلى جمع وتوحيد الشعب الجزائري كله ، لأن سر نجاح الثورات الشعبية، يتجلى في البناء الداخلي المحكم الذي يقرن بين الوحدة الشعبية ، والوحدة الترابية، ولتحقيق هذه الأهداف، قام الأمير عبد القادر بإرساء قواعد ديمقراطية حقيقية ، حاول الأمير عبد القادر تجسيدها ميدانيا لأنها كانت تعبر بصدق عن آمالي وأماني عامة الجزائريين ، ومطامحهم وتطلعاتهم السياسية. ولذلك كان من الواجب علينا أن نقول في وصف نوعية وشكل الناحية السياسية للحكومة الوطنية الجزائرية ، بأنه كان ديمقراطيا ، ومستشاريا شعبيا [57].

وفي الحقيقة كان الأمير عبد القادر، يحمل فكرا وطنيا مستتيرا، به آمن وبه عمل ، هذه الازدواجية المنهجية هي التي أكسبته شعبية كبيرة، ومن مظاهر حكم دولة الأمير عبد القادر الجزائري، بروز المظهر الديمقراطي الوطني ، الذي ظهر جليا في تلاقي الفكرة الوطنية بالفكرة الدينية [58]. وقد أكد

الدكتور عبد الله شريط في كتابه الفكر السياسي ، على أن المساواة وحدها التي تشبع بها الأمير عبد القادر الجزائري ، إلى

درجة النقص في حياته الخاصة ، كانت كفيلة بأن تحقق الشعور بالوحدة الوطنية [59].

وتجلت هذه المظاهر في الديمقراطية والوطنية ومبدأ المساواة الذي تقاضى في تحقيقه سواء أكان بينه وبين رعيته ، أو بينه وبين خلفائه ،وبينه وبين المجتمع الجزائري، ولهذا نجح هذا النوع من الحكم في جعل الشعب الجزائري يتجاوز الشعور بالوحدة القبلية، إلى الشعور بالوحدة الوطنية [60].

ولم يكن الأمير عبد القادر يملك فكرا شوفينيا ضيقا ، و لم يكن الأمير يهتم كثيرا بقبيلته أو جهته ، أو يفضلها عن غيرها من المناطق الأخرى من الوطن الجزائري، وفي هذا السياق يستشهد الدكتور المرحوم يحي بوعزيز ، ببعض الرسائل التي عثر عليها والتي كان الأمير عبد القادر يرسلها إلى خلفائه بالمسيلة ومنطقة بسكرة ، والتي توضح بجلاء عنايته بالمنطقة الشرقية التي لم تكن أقل من عنايته بمركزه في الغرب الجزائري [61].

وكان الأمير عبد القادر يهدف أولا إلى ضرورة ترتيب البيت من الداخل ، وذلك بإزالة كل التناقضات والرواسب التي ورثها المجتمع الجزائري عن الدولة العثمانية ومنها ، عدم الانسجام بين الطبقات الاجتماعية والدينية ، ولذلك كان عليه أن يكسب كل عوامل النجاح إلى جانبه ، لأن تكوين دولة وطنية حديثة تعتمد على أكبر مظهر من مظاهر الوحدة المتعددة الجوانب والتي يتوقف عليها نجاح صد مشروع الاحتلال الفرنسي للجزائر.وفي هذا الباب يشير الدكتور ناصر الدين سعيد وني إلى نقطة مهمة جدا،لأنه كان يرى بأن مقاومة الأمير عبد القادر، كانت تهدف إلى توحيد الصفوف أولا ، ثم التصدي للعدو الخارجي ثانيا [62].

ومن أمثلة الأعمال التي كان يقوم بها الأمير عبد القادر الجزائري، المساواة بين الجزائريين المسلمين فألغى الخراج وعوضه بتأدية الزكاة و العشور وضريبة خاصة بالجهاد، و كان الأمير عبد القادر يعمل طول فترة جهاده على إشراك ممثلين له في مختلف مناطق البلاد ، من علماء وشيوخ قبائل وقادة للجيش.فكان الأمير عبد القادر قد ترأس مؤتمر الجزائر [63]،والذي حضرته وفود من جميع أنحاء القطر والذي قرر فيه توحيد القوى الوطنية ، والدفاع عن الحريات الإنسانية ، وتدعيم الروح الشعبية القائمة على الأخوة والحفاظ على النفس [64].

وكان الأمير عبد القادر يهدف إلى توحيد الإدارة ، والجيش والعلماء والأعيان أولا ، ثم توحيد الأرض والشعب بعد ذلك ، أي أنه سار على منهج واضح بدأ فيه بالوحدة الصغرى (الوحدة الخاصة) وهي الوحدة الفكرية ، في طريق الوصول إلى الوحدة الكبرى (الوحدة العامة)، وهي الوحدة الوطنية ، خاصة وأن الأمير عبد القادر الجزائري كان في أشد الحاجة إلى كل أبناء الجزائريين المخلصين الأوفياء لوطنهم والملتزمين بالإخلاص لوطنيتهم، ولاسيما في هذه الفترة العصيبة التي كان يمر بها الوطن الجريح وعليه فإن الوحدة والاتحاد كان من أولى أولويات دولة الأمير عبد القادر الجزائري، وبهذه الوحدة انهزمت فرنسا في الجزائر وتعثر مشروعها الاستيطاني الإجرامي.

الخاتمة :

يعد الأمير عبد القادر الجزائري أول من أنشأ دولة وطنية، جزائرية حديثة فنية، و أسس الأمير عبد القادر جيشا وطنيا نظاميا منظما وموحدا، فكانت غاية الأمير عبد القادر من ذلك هو العمل على اتحاد الجزائريين و وحدتهم ، والسعي لتطبيق الشريعة الإسلامية عليهم ،لذلك اتسمت إدارته بأنها كانت إدارة منظمة تنظيما محكما ودقيقا ، مراعي في ذلك تحقيق الوحدة الترابية والشعبية والإدارية والعسكرية. وكانت هذه الوحدة تظهر في وحدة الموقف والقرار السياسي والعسكري ، والوحدة السيادية التي كانت تمتد على ثلاثة أرباع مساحة الجزائر الحرة المستقلة

الهوامش

[1]-عبد لقادر الجزائري1808-1883 مقاوم جزائري رفع راية الجهاد ضد الاحتلال الفرنسي بين 1832-1847 وقد أُرُز على عدة انتصارات كبيرة بفضل صموده وتنقلاته بين المناطق الجزائرية المختلفة ، مما جعل القادة العسكريين الفرنسيين

يحتارون لأمره لذكائه واستراتيجيته المحكمة في اطالة عمر المقاومة واستنزاف طاقات العدو بحروب الكر والفر ضمن مجموعات مسلحة قليلة العدد .

[2]-نزار أبابضة، الأمير عبد القادر الجزائري المجاهد، ط1 ، دار الفكر المعاصر، دمشق 1994، ص10

[3]-نابليون الثالث (1808-1873) ، امبراطور فرنسي ،حكم من ديسمبر 1848 إلى ديسمبر 1851.

[4]-سجن أميوازوهو القصر الفرنسي التاريخي العتيق والذي سجن فيه الامير عبد القادر الجزائري لمدة أربع سنوات بين 1848-1852، وهو يقع في مدينة بوردو الفرنسية .

[5]-نزار أبابضة، مرجع سابق، ص 13، وفي حقيقة الأمر فإنني لا أوافق على هذا التعبير الذي أرى فيه نوع من التقليل من شأن كفاح الأمير عبد القادر الجزائري لأن الأمير لم يستسلم ولم يسلم سيفه ، بل استل منه سلا و هو مكرها على ذلك ، لأنه ما عرف عنه أبدا إلا الجهاد والنضال المستميت من أجل الجزائر أولا والمسلمين ثانيا والعالم ثالثا .

[6]-الأسنانة هو الاسم الذي أطلقه العثمانيون على عاصمتهم الجديدة منذ أن فتحها محمد الفاتح سنة 1453م وهي تعني دار الحكومة.. وبين 1517-1924 صارت اسطنبول هي عاصمة الخلافة العثمانية.

[7]-السلطان عبد المجيد خان 1773-1861، فهو والد السلطان عبد الحميد الثاني، صاحب الخطين : كلخانة 1839، والهاميوني 1856.

[8]- نزار أبابضة ، مرجع سابق ، ص 13-14.

[9]- محود نديم (1818-1883)، كان واليا على دمشق في سنة 1856-1857، وصار واليا عثمانيا على طرابلس الغرب في سنة 1860-1866، وأصبح صدرا أعظما للدولة العثمانية لفترتين هما: 1871-1873 و 1875-1876 .

[10]- عزت باشا (1855-1924)، سياسي عثماني سوري تقلد عدة مناصب هامة منها رئيس المخابرات سنة 1873، وكان من المقربين الأساسيين للسلطان عبد الحميد الثاني .

[11]- تدمر، هي مدينة أثرية وسياحية سورية هامة تقع بشمال سوريا وتتبع لولاية حمص، وهي العاصمة القديمة لمملكة تدمر .

[12]- نزار أبابضة ، مرجع سابق ، ص 15.

[13]-الشيخ محمود حمزة (1819-1888) مفتي دمشق، له عدة مؤلفات منها: الفوائد البهية في القواعد الفقهية والكواكب الزاهرة في الأربعين المتواترة .

[14]-آل العابد أسرة تجارية وسياسة دمشقية عريقة كانت تسكن بح الميدان بدمشق ، ومن أشهر أفراد هذه الاسر قرئيس الجمهورية السورية بن 1932-1936.

[15]-نزار أبابضة ، مرجع سابق ، ص 18.

[16]- تحصل الأمير عبد القادر عدة أوسمة ونياشين نذكر من أهمها : ميدالية وسيف من نابليون الثالث و من الرئيس الأمريكي لينكولن ، ومن السلطان العثمان عبد المجيد ، و في سنة 2010 قدمت مؤسسة غير حكومية سويسرية مختصة في الدفاع عن حقوق الإنسان الجائزة الثالثة للأمير عبد القادر الجزائري.

[17]- عفيف البهنسي ، هو أستاذ التاريخ والفن والعمارة بجامعة دمشق ، و من أشهر كتبه : الجامع الاموي ، و الفن والقومية .

[18]-الأميرة بديعة الحسيني الجزائري، هي كريمة الأمير مصطفى الحسيني الجزائري حرم العميد عدنان محمد راغب العجلاني ، والدة فوزان وبتول وغيث ويزن، ولدت في الثلاثينات في مدينة تطوان و درست في معهد دوحة الأدب بدمشق ،وهي خريجة دار اللغات بدمشق ، وأسهمت في تأسيس الكثير من الجمعيات النسوية : كالمبرد والرعاية الاجتماعية ، وجمعية مكافحة الأمية للسيدات ، و شاركت كعضو عامل في ندوة الحوار الإسلامي المنعقد بلبيبا في 1976 ، وتطوعت في المقاومة الشعبية ، وكانت قائدة وحدة فدائية أثناء العدوان الثلاثي على مصر سنة 1956. للأميرة بديعة عدة مؤلفات تاريخية أخص منها بالذكر

،فكر الأمير عبد القادر الجزائري، وردود وتعليقات عن حياة الامير عبد القادر لتشارشل . للاستزادة، راجع كتاب : الأميرة بديعة الحسني الجزائري ، ناصر الدين الامير عبد القادر الجزائري بن محي الدين الحسني، سيرته المجيدة في حقبة من تاريخ الجزائر ، ط1، سلام للترجمة والنشر ، دمشق 1991 ، ص 217.

[19]-الأميرة بديعة الحسني،نفس المصدر ، ص 37 .

[20] - نفس المصدر، ص 42 .

[21] -نفس المصدر ، ص 45 .

[22]- ولايات الأمير الثمانية هي : في الغرب (تلمسان، معسكر)، وفي الوسط (مليانة، المدية) ، وفي الشرق والجنوب (مجانة ، الزيبان ، و برج حمزة ، والصحراء الغربية) .

[23] -محمد العربي الزبيري، الكفاح المسلح في عهد الأمير عبد القادر، المؤسسة الجزائرية للطباعة، الجزائر 1982 ص31،30.

[24] -عبد الرحمن الجيلالي ، تاريخ الجزائر العام ،ج4 ، ط6 ، دار الثقافة ، بيروت 1983، ص 248 .

[25] - الأميرة بديعة الحسني ،مصدر سابق، ص 39.

[26] -نفس المصدر، ص 39 .

[27] - نفس المصدر، ص 40.

[28] - أما الشيخ عبد الرحمن الجيلالي فيؤكد بأن ما كتب داخل الدائر الوسطى هو عبارة " الواثق بالقوي المتين ناصر الدين عبد القادر بن محي الدين " راجع ، عبد الرحمن الجيلالي ، نفس المصدر ،ج4 ، ط6 ، ص 76.

[29] - الأميرة بديعة الحسني ،مصدر سابق، ص 40 .

[30] - نفس المصدر، ص 44.

[31] - نفس المصدر ، ص 41 .

[32] - محمد بن الأمير عبد القادر الجزائري، تحفة الزائر في تاريخ الجزائر ومآثر الأمير عبد القادر، شرح وتعليق ممدوح حقي، ط2، دار اليقظة العربية 1964، ص111 .

[33] -أديب حرب، التاريخ العسكري والإداري للأمير عبد القادر 1808-1847، ج 1، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع الجزائر 1983، ص84.

[34] -الأميرة بديعة الحسني ،مصدر سابق ، ص 47.

[35]- عبد الرحمن الجيلالي ، تاريخ الجزائر العام ،ج4 ، ص 72

[36] - نفس المصدر ، ج 4 ، ط 6 ، ص 72.

[37] - إسماعيل العربي، المقاومة الجزائرية تحت لواء الأمير، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر 1982 ص 224.

[38] - أديب حرب، مرجع سابق، ، ص 52.

[39] - ولد السد قدور بن رويلة بالجزائر العاصمة، توفي سنة 1855م، كان كاتباً للأمير عبد القادر الجزائري ثم مستشاراً له سنة 1843، نفته لسلطة الاحتلال الفرنسي إلى المشرق العربي (الشام) ، حيث إلتقى بالأمير عبد القادر بعد إطلاق سراحه واستقراره بدمشق سنة 1856 وعاش معه إلى أن توفي هناك. للمزيد انظر، قدور بن رويلة، مقدمة وشاح الكتائب وزينة الجيش المحمي الغالب، تقديم وتحقيق محمد بن عبد الكريم، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع الجزائر 1968، ص 18-24. أنظر أيضا ، عمر بن قينة، صوت الجزائر في الفكر العربي الحديث، ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر، 1990 ص 32-34.

[40] - فهو كتاب من تأليف قدور بن رويلة وإن نسب خطأ إلى للأمير عبد القادر وإن كتبه بإيعاز من هذا الأخير ويتكون كتاب وشاح الكتائب من ثمانية مسائل ومجموعة ملاحق هي على النحو التالي:

1- تقسيم الجيش المحمي إلى مشاة وفرسان و مدفعيين.

2- صك عملة الأمير.

3- أنواع ألبسة الجيش حسب رتبة.

3- تحديد مهام المدربين و المعلمين.

4- قيمة الألبسة العسكرية والأسلحة العربية.

5- الأوسمة والنياشين التي تخص الجيش .

6- العقوبات.

7- تحديد المكاييل و الموازين .

[41] - أديب حرب، مرجع السابق، ص 84.

[42] - شارل هنري شارشل، حياة الأمير عبد القادر، تقديم وتعليق أبو القاسم سعد الله، الدار التونسية لنشر، 1974 ص 140

، إسماعيل العربي، مرجع سابق، ص 141.

[43] - مارسيل امريت (1899- 1985)، مؤرخ فرنسي متخصص في تاريخ الجزائر ، كان يشغل أستاذا بكلية الآداب بجامعة الجزائر، ثم أستاذا بجامعة ليل الفرنسية، وكان عضوا عاملا بجمعية العلوم لما وراء البحر، له عدة مؤلفات نذكر منها : ثورة 1848 في الجزائر، و السانسمونية في الجزائر.

[44] - اختلفت المؤرخون والكتاب حول المعني الحقيقي لمصطلح الكراغلة، فقال بعضهم بأنه يعني الجيل الجديد الناتج من تزواج أمهات مغاربيات مع رجال أتراك، وقال بعضهم بأنه يتعلق بشباب المغرب العربي الذي انخرطوا في الجندية مع الدولة العثمانية .

[45] - الداوي حسين (1773- 1838)، آخر دايات الجزائر التي حكمها من 1818- 1830، نفى مباشرة بعد احتلال الجزائر إلى مدينة ليفورن الإيطالية التي مكث بها ثلاث سنوات (1830- 1833)، وأخيرا استقرا في مدينة الإسكندرية (1833- 1838) ، توفي بها .

[46] - أحمد باي (1786- 1850) ، حاكم جزائري عل بابلك الشرق (قسنطينة) بين 1826- 1837، وبعد تسليم نفسه سنة 1848، وضعته سلطة الاحتلال الفرنسي تحت الإقامة الجبرية بالجزائر العاصمة من 1848- 1850، وبعد وفاته دفن بالمقبرة

- [47] - الأمرد وهو مؤنث مرداء، و تخص الإنسان الذي لم تنبت لحيته.
- [48] - الجدري هو مرض يصيب الإنسان و يسبب له بثورا حمراء بيض الرؤوس ، تنتشر في البدن وتنتج سريعا وهو في الغالب شديد العدوى.
- [49] -الأميرة بديعة الحسني ،مصدر سابق ، ص 44.
- [50] - للاطلاع على هذه الفتاوي و اجابة الشيخ التوسلي عليها ، راجع، الاطروحة الجامعية للطالب الباحث ، وداد الصيد ، أجوبة التوسلي عن أسئلة الأمير عبد القادر في مسائل الجهاد، اشراف أ - د ، اسماعيل يحي رضوان ،جامعة الامير عبد القادر ، قسنطينة 1997.
- [51] - محمد بن الأمير عبد القادر الجزائري ،مصدر سابق ، ص 360. جاء في كتاب ، تحفة الزائر، بأن عدد أعضاء مجلس شورى الأمير عبد القادر هو اثني عشر عضوا ، بينما هو إحدى عشر عضوا عند بديعة الحسيني وربما لم تدخل في حسابه رئيس المجلس الرئيس، راجع ، الأميرة بديعة الحسني ، مصدر سابق ، ص 45 .
- [52] - طبع هذا الكتاب مرتين، واحدفني لبنان في وأخرى سوريا ، فحققه وعلق عليه الدكتور ممدوح حقي سنة 1966 وهو يتناول قضايا مختلفة تاريخية ولغوية واقتصادية و دينية وفكرية .
- [53] - يغلب على هذا الكتاب الطابع الصوفي، طبع في مطبعة بولاق سنة 1911، في ثلاثة أجزاء ، وأعيد طبعه مرة أخرى سنة 1966 بدار اليقظة العربية بدمشق .
- [54] - وهو الديوان الشعري للأمير عبد القادر الذي نشره زكريا عبد الرحمن صيام .
- [55] - عبد الرحمن الجيلالي ، مرجع سابق ، ص 156.
- [56] - إسماعيل العربي، الأمير عبد القادر الجزائري، مؤسس دولة وقائد جيش، وزارة الثقافة والسياحة، الجزائر 1984 ، ص50.
- [57] - عبد الرحمان الجيلالي، مصدر سابق، ج4، ط6، ص71.
- [58] - عبد الله شريط "مع الفكر السياسي في دولة الأمير ونظرية الشيخ ابن باديس"، مجلة الثقافة، عدد خاص 75، الجزائر 1983، ص240.
- [59] - عبد الله شريط، مع الفكر السياسي الحديث والمجهود الإيديولوجي في الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائر 1986، ص103.
- [60] - عبد الله شريط، نفس المرجع، ص240.
- [61] - يحي بوعزيز، كفاح الجزائر من خلال الوثائق، المؤسسة الوطنية للكتاب، 1986 ص77.
- [62] - ناصر الدين سعيد وني، "موقف الأمير من بقايا السلطة التركية بالجزائر"، مجلة التاريخ، عدد خاص 1983 ص47.
- [63] - عقد هذا المؤتمر الذي ترأسه الأمير عبد القادر الجزائري سنة 1838 في قرية بوخريوشة في ضواحي مليانة العاصمة الإدارية للأمير والتي ولى عليها الخليفة محمد احمد الدين الصغير ،ولما توفي خلفه محمد بن علال القليعي.
- [64] - أبو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية الجزائرية 1900-1930، ج2، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر 1983، ص 44.

المصادر والمراجع :

- 1- أباطة نزار، الأمير عبد القادر الجزائري المجاهد، ط1 ، دار الفكر المعاصر، دمشق 1994، ص10.

- 2- - بن الأمير عبد القادر الجزائري محمد، تحفة الزائر في تاريخ الجزائر ومآثر الأمير عبد القادر، شرح وتعليق ممدوح حقي، ط2، دار اليقظة العربية 1964.
- 3- بن رويلة قدور، مقدمة وشاح الكتائب وزينة الجيش المجدي الغالب، تقديم وتحقيق محمد بن عبد الكريم، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع الجزائر 1968.
- 4- بن قينة عمر، صوت الجزائر في الفكر العربي الحديث، ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر 1990.
- 5- بوعزيز يحيى، كفاح الجزائر من خلال الوثائق، المؤسسة الوطنية للكتاب، 1986.
- 6- بديعة الحسني الجزائري الأميرة، ناصر الدين الأمير عبد القادر الجزائري بن محي الدين الحسني، سيرته المجيدة في حقبة من تاريخ الجزائر، ط1، سلام للترجمة والنشر، دمشق 1991.
- 7- الجيلالي عبد الرحمن، تاريخ الجزائر العام، ج4، ط6، دار الثقافة، بيروت 1983، ص 248
- 8- - حرب أديب، التاريخ العسكري والإداري للأمير عبد القادر 1808-1847، ج 1، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع الجزائر 1983.
- 9- الزبيري محمد العربي، الكفاح المسلح في عهد الأمير عبد القادر، المؤسسة الجزائرية للطباعة، الجزائر 1982.
- 10- سعد الله، الحركة أبو القاسم، الوطنية الجزائرية 1900-1930، ج2، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر 1983.
- 11- سعيد وني ناصر الدين، "موقف الأمير من بقايا السلطة التركية بالجزائر"، مجلة التاريخ، عدد خاص 1983.
- 12- شارل هنري شارشل، حياة الأمير عبد القادر، تقديم وتعليق أبو القاسم سعد الله، الدار التونسية لنشر، 1974.
- 13- شريط عبد الله، مع الفكر السياسي الحديث والمجهود الإيديولوجي في الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائر 1986.
- 14- -----، "مع الفكر السياسي في دولة الأمير ونظرية الشيخ ابن باديس"، مجلة الثقافة، عدد خاص 75، الجزائر 1983.
- 15- العربي إسماعيل، الأمير عبد القادر الجزائري، مؤسس دولة وقائد جيش، وزارة الثقافة والسياحة، الجزائر 1984.
- 16- -----، المقاومة الجزائرية تحت لواء الأمير، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر 1982